وزارة التربية والتعليم
بالتعاون مع
المركز القومى
للبحوث التربوية والتنمية

سلسلة الكتب المترجمة (١)

الألفية الجديدة

الرابحون والخاسرون فى النظام العالمى القادم

تأليف
جاك أتالى

تلخيص وتعليق
المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية

القاهرة ١٩٩٥

تنفيذ قطاع الكتب

اهداءات ١٩٩٩
اهداءات ١٩٩٩

وزارة التربية والتعليم
بالتعاون مع
المركز القومى
للبحوث التربوية والتنمية

سلسلة الكتب المترجمة (١)

الألفيـة الجديـدة

الرابحون والخاسرون فى النظام العالمى القادم

تأليف
جـاك أتـالى

تلخيـص وتعليـق
المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية

القاهرة ١٩٩٥

تنفيذ قطاع الكتب

تصـــــديـــــر

الدكتور حسين كامل بهاء الدين

وزير التعليم

منذ كلفنى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بأعباء وزارة التعليم ، ومنذ أن أصدر سيادته توجيهاته بالمشروع القومى لتطوير التعليم ، ومنذ نادى السيد الرئيس فى السياسة التعليمية الجديدة بالانفتاح على العالم ، والاستفادة من كل جديد ، كنت شديد الحرص على أن أوفر لجميع التربويين والمعلمين ، بل والطلاب ، سبل الاتصال بالعالم المتقدم ، وما يرتطم فيه من أفكار وقيم ، وبخاصة فى إطار الكونية العالمية التى جعلت ـ أو تكاد تجعل ـ من العالم قرية صغيرة رغم أنها كونية .

وتمثل تنفيذ هذه السياسة فى إرسال بعثات المعلمين للتدريب فى المملكة المتحدة، والولايات المتحدة ، وفرنسا . وقد أمر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بزيادة المخصصات المالية ، وبالتوسع فى هذه البعثات بحيث تضم الآلاف من المعلمين ليعيشوا ثقافة العصر ، ويطلعوا بأنفسهم على صور التقدم ، فيتخلصون من

الانغلاق الثقافى ، والانعزال الفكرى ، ويطلعون فى نفس الوقت على أساليب التربية المعاصرة ، وتقنيات التعليم المتطورة ، ويمارسون ـ ما أمكن ـ بعضا من طرائق التدريس المتجددة .

وكان الملمح الثانى لتنفيذ سياسة السيد الرئيس بالانفتاح على العالم والاستفادة من كل جديد ، ما طالبت به مراراً المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية من تقديم ترجمات لكتب جديدة ظهرت فى التسعينات ، وتشكل تأثيراً واضحاً فى الفكر الإنسانى فى عالم اليوم . وعملا على أن أدفع بالمركز الى هذا العمل ، قدمت له من مكتبتى الخاصة كتابين أحدهما هذا الكتاب الذى يتصدر هذه السلسلة ، وهو كتاب الألفية الجديدة لمؤلفة جاك أتالى . وكنت شديد الحرص ـ وما زالت ـ على ألا تقتصر هذه السلسلة على الكتب التربوية والمهنية ، وإنما تمتد لتشتمل على جميع أنواع الكتب فى شتى فروع المعرفة ، وعلى رأسها المستقبليات ، وذلك حرصا منى على أن أتيح لجميع المعلمين فى شتى المراحل التعليمية فى شتى بقاع الجمهورية الإطلاع على كل جديد فى جميع جوانب المعرفة . ولذلك كان قرارى بتلخيص هذه الكتب وعرضها بأسلوب يسهل للجميع ـ بما فيهم أبناؤنا الطلاب المتفوقون فى مراحل التعليم المختلفة ـ فهم مراميه ، وإدراك مغزاه ، والكشف عن الأفكار التى يحملها .

وإذ أعبر عن سعادتي بصدور أول كتاب في هذه السلسلة ، وتقديمي له للقارىء العربي عامة ، وللمعلم المصري خاصة ، لأجد لزاما على أن أوجه الشكر إلى وزارة التخطيط ، وعلى رأسها السيد نائب رئيس الوزراء الأستاذ الدكتور كمال الجنزوري وزير التخطيط لموافقته على أن تشتمل مشروعات التخطيط في الباب الثالث للمركز القومي للبحوث التربوية والتنمية على مشروع سلسلة الكتب المترجمة ، وإني لعلى ثقة في أنه سيعطى لهذا المشروع أولوية في خطة المركز الاستثمارية في العام المالي القادم ٩٥ / ١٩٩٦ .

كما أجد لزاما على أن أوجه الشكر إلى جميع الذين أسهموا في اختيار كتب هذه السلسلة ، وترجمتها ، ومراجعتها ، سواء أكانوا من العاملين في المركز أم من خارجه ، وأخص بالشكر الأخ الأستاذ الدكتور عبد الفتاح جلال مدير المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية الذى ما بخل على هذا المشروع ، أو غيره من أعمال المركز ، أو وزارة التربية بجهد ، بل كان ـ وما يزال ـ صاحب عطاء متميز ، وجهد متفوق ، وفكر مبدع ، فله ولجميع المخلصين أوجه الشكر والتقدير .

وختاما أرجو أن يجد كل قارىء لما تحتويه هذه السلسلة فائدة تعود عليه، وعلى مجتمعه ، وتعود على ثقافتنا وأمتنا بالخير فى ظل قيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية وراعى المشروع القومى لتطوير التعليم .

ولا أستطيع كمصرى أن أنهى هذا الكتاب ، ونحن فى مصر نعيش الفرحة بنجاة السيد الرئيس من حادث الاغتيال الآثم دون أن أقول :

سلمت سيادة الرئيس ، وسلمت مصر بقيادتك
وشلت يد الأعداء ، وازدهرت الحضارة التى تبنيها

وكن على ثقة من أن التربويين والمعلمين ، بل والملايين من أبناء شعبك جميعا ، معك ، على قلب رجل واحد ، يقدرون جهودك التى لا تعرف الكلل ، ويؤازرون خططك لبناء نهضة مصر المعاصرة ، لك من الله عز وجل التوفيق ، ولمصر السلامة ، وللجميع التوفيق .

٢٩ / ٦ / ١٩٩٥

الدكتور حسين كامل بهاء الدين

وزير التعليم

تقديم

الدكتور/ عبد الفتاح أحمد جلال

مدير المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية

فى إطار السياسة التعليمية الجديدة طالب السيد الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم مراراً المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية بأن يقوم بمشروع لترجمة أمهات الكتب التى صدرت فى التسعينيات فى أى مكان من العالم ، وفى أى فرع من فروع المعرفة . وأخيرا وافقت وزارة التخطيط فى الخطة الاستثمارية للعام المالى ١٩٩٥/٩٤ على أن تتضمن خطة الباب الثالث هذا المشروع ، ووفرت التمويل اللازم للترجمة والمراجعة . وسارع السيد وزير التعليم فقدم من مكتبته الخاصة كتابين ، أحدهما هذا الكتاب الذى اشرف بتقديم تلخيص لما تضمنه من أفكار ، وهو من كتب المستقبليات ، إذ فى ضوء توجيهات سيادته كان اختيار الكتب التى تشتمل عليها هذه السلسلة المتنوعة التى لا تقتصر على فرع من فروع المعرفة ويسير العمل فى هذه السلسلة فى مراحل تبدأ باختيار الكتاب ، وتكليف من يقوم بترجمته ، سواء أكان من خبراء المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية أم من خارجه ، وتكليف من يقوم بمراجعته ومطالبة المترجم بتقديم تلخيص واف لما يتضمنه الكتاب المترجم حتى يمكن طبعه ونشره بين المعلمين كافة ، والقراء عامة ، نشراً للفائدة بين الجميع .

جاء عنوان الكتاب الأول فى هذه السلسلة « الألفية الجديدة : الرابحون والخاسرون فى النظام العالمى القادم » ومؤلفة هو جاك أتالى الذى عمل مستشاراً اقتصاديا للرئيس الفرنسى السابق فرانسواميتران ، ويعمل رئيسا للبنك الأوربى للتعمير والتنمية . والنص الذى ترجم عنه الى العربية ترجمة بالإنجليزية مع مقدمة لها للاقتصادى الشهير ألفن توفلر عن النص الأصلى الذى كان بالفرنسية . وقد قام بالترجمة الدكتور سعيد حسن عبد العال الباحث بالمركز القومى للبحوث التربوية والتنمية ، وراجع الترجمة الاستاذة فتحية البجاوى رئيسة شعبة بحوث المعلومات بالمركز ، وذلك تحت اشرافى . ويتكون الكتاب من خمسه فصول .

تناول الفصل الأول من الكتاب ملامح النظام العالمى القادم حيث يستمر الصراع بين القوى الكبرى فى العالم . ويتنبأ جاك أتالى بتغير مراكز القوة الجديدة فى النظام العالمى القادم فى القرن الحادى والعشرين . اذ ربما تحل اليابان وأوربا محل الولايات المتحدة الأمريكية ، كقوتين متصارعتين من أجل تحقيق السيادة الاقتصادية فى عالم اعتنق أيديولوچية السوق الحر والاستهلاك محل اعتناق الأيديولوجيات والأديان ، وحلت فيه القوة الاقتصادية محل القوة العسكرية . ويؤكد المؤلف أن الأمة التى سيكتب لها البقاء كدولة أو قوة عظمى لابد لها من أن تمتلك قاعدة اقتصادية مزدهرة تقوم عليها قوتها العسكرية وقوتها السياسية فى النهاية . ويرى أتالى أن القانون الرئيسى المنظم

لحركة المستقبل سوف يكون القانون الاقتصادى فى المقام الأول .

وفى إطار نظرة موضوعية ، لا تتأثر بجنسية المؤلف الأوربى النشأة والعمل ، ولا تنطلق من نظرة ضيقة تحدها جنسية صاحب هذه المقدمة ، وإنما تنشأ من خبرة دولية لكاتب هذه المقدمة من خلال العمل فى منظمة اليونسكو لسنوات طويلة ، ومن زيارات متعددة لكثير من دول العالم ، يمكن أن نتفق مع جاك أتالى فى تنبؤاته بأن تصبح أوربا الموحدة مركزا لقوة عظمى فى القرن القادم ، وبأن تصبح اليابان كذلك مركزا لقوة عظمى أخرى ، ولكننا نرى مع ذلك إمكان أن تنضم إلى هذه القوى المارد الأصفر الصين . ومن ثم يمكن أن نرى تعدد مراكز القوة فى القرن القادم ، وبأنها لن تكون قوة عظمى وحيدة ، وربما لن تكون قوتين عظميين فحسب .

وينتقل جاك أتالى فى الفصل الثانى من كتابه إلى تصوره لحركة الصراع من أجل السيادة والسيطرة على القوة الاقتصادية فى النظام العالمى الجديد فى القرن القادم حيث يتنبأ بتداعى أنظمة الحكم الدكتاتورية فى أنحاء العالم أمام المد الديمقراطى ، وأن القوة ستتركز حيث تقيم الصفوة التى تتكدس لديها الثروة والسلطة والقدرة على اتخاذ القرارات الحاسمة فى الأمور الحرجة التى تواجه الكوكب الأرضى . ويكاد يتنبأ المؤلف بتحول السلطة عن الولايات المتحدة الأمريكية ـ رغم اعترافه بصعوبة حدوث ذلك ـ إلى أماكن أخرى من العالم ، ربما فى أوربا الموحدة أو فى اليابان.

ويرى المؤلف أن حركة الصراع هذه ستحكمها شروط لشغل مركز القوة الجديد أهمها تبنى المرشح لها قيما اجتماعية يمكن لشعوب العالم اعتناقها . وقدرته على تقديم حماية عسكرية لغيرها - من الدول وأيا كان الأمر فإن أتالى يتنبأ بصراع شرس سوف يحدث فى القرن الحادى والعشرين من أجل تحقيق السيادة بين المدن والأمم ، وحتى القارات . ومن المحتمل وجود تناقض مستمر بين المركزين المتصارعين حول الباسيفيكى والأوربى .

وينهى جاك أتالى حديثه عن الصراع المحتمل مناديا بالحاجة إلى مؤسسات عالمية تقوم بوضع آلية تستهدف توفير السلام فى مناطق الاضطراب فى عالم القرن القادم الذى ينتظر أن يواجه المزيد من الصراعات بين مناطق الوفرة والاستقرار من ناحية وبين مناطق الفقر والفوضى من ناحية أخرى .

وفى الفصل الثالث يتحدث جاك أتالى عن الخاسرين فى الألفية الجديدة ، وهم فى نظره ضحايا النظام العالمى القادم حيث سيعانون من الزيادة السكانية الرهيبة ، ومن الصراع الشديد على فرص العمل بين القادرين عليه وهم فى ازدياد مستمر ، ومن زيادة سكان الحضر وما يؤدى إليه ذلك من مشكلات ، ومن ارتفاع نسبة الوفيات لدى الأطفال دون سن الخامسة . وستكون معاناة الخاسرين أشد ، بل وجميع أجيال المستقبل ، نتيجة سوء التعامل مع الموارد الطبيعية بصورة ستؤدى إلى ندرتها .

ولعل أسوأ ماتنبأ به چاك أتالى فى النظام العالمى القادم ، وبوادره مع الأسف آخذه فى الظهور فى المجتمعات الأوربية ، ظهور الفاشية النازية الجديدة فى صور مختلفة منها الصراع بين الإسلام والمسيحية ، والعداوة للمهاجرين السود الباحثين عن المسكن والحياة المستقرة فى الشمال غير المضياف .

ونظرة متكاملة الى ماذكره المؤلف فى الفصل الأول من كتابه عن سيادة القانون الاقتصادى ، وسيطرة القوة الاقتصادية على ماعداها من القوى العسكرية والفكرية ، والثقافية ، وحلول أيديولوچية السوق الحر والاستهلاك محل اعتناق الأيديولوچيات والأديان ، وماذكره فى الفصل الثانى من ضرورة توافر شروط لدى القوة العظمى المؤهلة فى القرن القادم لهذا الدور منها تبينها لقيم اجتماعية يمكن لشعوب العالم اعتناقها ، وأخيرا إلى ما ذكره فى الفصل الثالث عن ظهور الفاشية والنازية الجديدة وعدائها للمهاجرين السود وغيرهم الذين قام على أكتاف الكثيرين منهم إعادة بناء أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ، وشاركت دولها الحلفاء فى هذه الحرب حتى كتبت لهم الانتصار ، والصراع المنتظر بين المسيحية والإسلام أو وضع الإسلام والمسلمين فى صورة العدو فى القرن القادم بدلا من العدو الشيوعى ، نظرة متكاملة إلى كل هذا ـ مع قراءة لما يجرى من أحداث فى آوروبا حاليا ، ومنها

أحداث البوسنه والهرسك ـ يحملنا على الاعتقاد بأن النظرة المتصورة للفكر فى النظام العالمى القادم ماهى إلا امتداد للنظرة السائدة فى بعض الفلسفات المادية السائدة فى عالم اليوم ، والتى لاترى محلا لما وراء الميتافيزيقا ، وترفض الألوهيات والأديان جملة وتفصيلا ، وتسعى لأن تضع مكانها أيديولوچية بشرية ، وعندما زالت الشيوعية كأيديولوچية نشط أصحاب الاجتهاد وليحلوا محلها أيديولوچية بديلة . وهنا وتطرح على حد تعبير أتالى أيديولوچية السوق الحر والاستهلاك محل اعتناق الأيديولوچيات والأديان ، والقانون الاقتصادى للربح المادى محل القانون الإلهى للربح الخلقى والدينى . وإن كان هناك ضرورة لتقوية القانون الاقتصادى فلنلجأ إلى بعض قيم اجتماعية ، عامة يمكن لشعوب العالم اعتناقها .

وهكذا نرى فى هذا الفكر رفضا للأديان السماوية ، وهو أمر نثق فى منطقتنا العربية من العالم ـ مهد الأديان السماوية ـ أنه ليس فى صالح الإنسانية ، بل إنه يؤدى إلى شقائها ، ودليلنا على ذلك ما تكابده الآن الجمهوريات التى ورثت الاتحاد السوڤيتى السابق ، وماتعانيه ـ وبخاصة فى روسيا ـ من حالة ضياع وتفكك وانهيار ، أدى بمافيا الجريمة أن تحل محل الدولة أو تكاد ، وتفرض قوانين الغاب بدلا من القوانين التى تحمى حقوق الإنسان .

كذلك نعتقد فى إطار هذه النظرة أن أمرا يبيت لجعل الإسلام والمسلمين هم الخاسرون فى الألفية الجديدة ، ونعتقد أن ناراً يمهد لإشعالها بين أصحاب الديانات السماوية ، وخاصة الديانتين الكبيرتين على الكوكب الأرضى : الإسلام والمسيحية ، ليدب بينهما الصراع فتخلو الساحة لأصحاب الفلسفات والأيديولوچيات المادية فتكون الفئة الأخيرة الرابحة ، والفئة الأولى الخاسرة . ونحن نعتقد أن الغلبة ستكون لأصحاب الديانات السماوية ، ومن بينهم أصحاب الحضارة الإسلامية ، الذين إذا ماتمسكوا بأركانها ، وأحسنوا فهمها وتطبيقها لصاروا مع الرابحين فى الألفية الجديدة، ولكن ليس على أساس الكسب المادى فقط ، وإنما على أساس الكسب الذى يقوم على التوازن بين التقدم القيمى والدينى والخلقى وبين التقدم المادى ، على نحو يحقق للحضارة الإنسانية تقدما فى أبهى صوره ، ودون أن يكون له آثار جانبية ضارة . أيا كان الأمر، فهذا الفكر المتكرر فى المستقبليات تحد للحضارة الإنسانية، أيا كان موقعها ، أو دينها ، إذ لاتقوم الحضارة ـ بأى حال ـ على التقدم فى الجانبى المادى فحسب ، وإن فرض وقامت ، فقيامها مؤقت ، ودوامها ـ كما علمنا التاريخ ـ محال ، وآثارها الضارة كفيلة بالقضاء عليها.

أما الفصل الرابع فيتحدث فيه جاك أتالى عن سكان العالم ذوى الامتياز فى البلدان الواقعة من مركزى القوة الباسيفيكى والأوربى والسكان الأغنياء فى البلدان الواقعة على محيط هذين المركزين والذين سيعشقون التجوال من مكان إلى آخر حيث يتمتعون بالحرية ويمارسون الطموح ، ويعيشون الجشع ، ولذلك أطلق عليهم اسم « البدوى الجديد » . هؤلاء الرابحون هم بدو رحل من نوع جديد ، لا ينتمون إلى جنسية معينة أو مكان معين ، ويتحركون وفقا لمتطلبات القوة والنفوذ ، ويتميزون باستخدامهم لأدوات أو أطراف تكنولوجية متطورة على نحو لم يُسبق فى استخدامها ، وتمكنهم ـ فى نفس الوقت ـ من التحرر من الإرتباط بمكان معين ، وتمثل حياة وعقل وقيم البدوى الجديد ، وثقافة الاستهلاك ، وأنماط الحياة الألفية الجديدة .

إن ثقافة الاختيار التى ارتبطت بمنطق السوق سوف تعين الإنسان ـ على حد زعم أتالى ـ على اكتساب درجة من الذاتية وحكم الإنسان لنفسه كما أن امتلاكه للأشياء الجديدة ، سوف يكون رمزاً للحرية والقوة .

وينتهى الكتاب بالفصل الخامس الذى ينادى فيه المؤلف بضرورة العمل على التخلص السيادة المطلقة ، وحاجة المجتمع العالمى فى القرن القادم إلى وضع ضوابط وقيود يلتزم بها ، وتعمل

على تنفيذها مؤسسات عالمية جديدة ، إذ ستنشأ صراعات من جانب بين إلغاء الحدود القومية والسيادة الوطنية التى يمكن أن تكونا عمليا غير ذات موضوع فى ضوء ثورة الاتصالات وأموراً لا معنى لها فى ظل المشكلات العالمية المعقدة وسيطرة القوى العظمى ، وبين الصيحات المتزايدة فى كثير من الدول والقوميات حول حق تقرير المصير من جانب آخر .

كما ستنشأ صراعات بين الاتجاه نحو سيطرة المادة حيث ينتظر - على حد قول المؤلف - أن تتعبد جميع الأنظمة الإقتصادية فى محراب المال ، وتقدم القرابين لآلهة الربح ، وبين الاتجاه العقلانى نحو الحرص على توافر قيم تكفل للإنسانية السلام والبقاء على كوكب الأرض .

يذهب المؤلف إلى أن نجاح الرأسمالية يهيئ الظروف للفشل فالنظام العالمى القادم سيكون مشحونا بالخطر، حيث سيعامل الطبيعة على أنها سلعة ، وسيعامل الإنسان - كذلك - على أنه سلعة تنتج بالجملة - هذا فضلا عن الفاصل الذى ستوجده بين المهاجرين الأغنياء وبين المهاجرين الفقراء ، وربمايننتهى حلم الاختيار اللانهائى إلى كابوس يتمثل فى عدم الاختيار فى ظل نظام شمولى، مما يحيل عالم الوفرة إلى عالم فقر وندرة . وينتهى أتالى من ذلك إلى أن الألفية الجديدة سوف تكون عصرا مزدهرا أو مخيفا، وذلك يعتمد

على قدرتنا على كبح جماح أحلامنا ، حيث ينبغى تواجد قيود أخلاقية وبيولوجية ، تخاطر الإنسانية عند تجاوزها . وتحقيق ذلك يتطلب توافر قادة أو ساسة فى القوى العظمى يعرفون الحاجة إلى القيود والضوابط ، ولديهم الشجاعة للتخلى عن الأفكار التقليدية للسيادة والسيطرة ، وتتوافر لديهم القدرة على بذل أقصي الجهد لحل المشكلات العالمية المستعصية فى جو من الحرية والتسامح والبعد عن التعصب .

وأكاد أرى جاك أتالى قد انتهى من رؤيته المستقبلية إلى يوتوبيا وفر فيها ، أو تمنى أن يتوافر فيها ، عالم يسود فيه العدل والسلام مع الثراء والرخاء والوفرة .

ولست أدرى كيف يمكن أن يتحقق ذلك فى آن واحد دون قيم تحكم طريق الثراء بحيث لا يتم فيه أى نوع من الإستغلال أو الظلم أو الكسب الحرام ؟ !

نتمنى أن يكون عالم الألفية القادمة عالم عدل وسلام ورخاء ورفاهية ، وبلا ظلم أو حروب ، أو تسلط أو قهر ، حيث ترفرف قيم الأديان السماوية فى ظل إيمان بالإله الواحد . وصدق الله العظيم إذ يقول فى سورة الأنعام :

« الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ونؤمن بقوله عزوجل فى سورة الأعراف :

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون .

سيقول البعض من أصحاب الفكر المادى ـ هداهم الله ـ ما هذه إلا أفكار ميتافيزيقية ، ومن بينهم من يزعم أن بها أفكارا خرافية . ونقول لهم قد سبقكم الكثير بهذا القول ، وأثبتت حكمة الأيام ودروس التاريخ أن التدين أمر لازم لتقدم الإنسانية .

« إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ».

يونية ١٩٩٥

الدكتور عبد الفتاح جلال

مدير المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية

تمهيـــــد

إلى القارىء فى كل مكان .

إلى المتخصصين فى السياسة والاقتصاد .

إلى قادة الفكر وخاصة الفكر التربوى . إلى صناع السياسة وصانعى القرار من ساسة وقادة عسكريين . إلى كل من يعنيه ذلك التزاوج بين القوة والسياسة والاقتصاد. إلى جميع من يشتغلون بقراءات فى المستقبل القريب والبعيد .

إلى جميع المثقفين يسعد المركز القومى للبحوث التربوية بقيادة وزير التعليم رئيس مجلس إدارة المركز أن يقدم لهم سلسلة من أهم الكتب العامة والثقافية والسياسية والتربوية التى ظهرت فى عالم اليوم فى التسعينيات بادئة هذه السلسلة بعرض وتلخيص لكتاب يتحدث عن المستقبل للمؤلف الفرنسى «جاك أتالى» الذى عمل مستشاراً اقتصاديا للرئيس الفرنسى السابق فرانسوا ميتران، ويعمل الآن رئيسا للبنك الأوروبى للتعمير والتنمية .

جاء هذا الكتاب مترجما عن الفرنسية تحت عنوان «الألفية الجديدة - الرابحون والخاسرون فى النظام العالمى القادم» وقام بالتقديم له الاقتصادى الشهير « الفن توفلر » وهو يقع فى خمسة فصول هى :

١ - الفصل الأول : النظام العالمى القادم .

٢ - الفصل الثانى : الصراع على السيادة .

٣ - الفصل الثالث : الخاسرون فى الألفية الجديدة .

٤ - الفصل الرابع : الإنسان البدوى . (المهاجر / البدوى الجديد).

٥ - الفصل الخامس : التخلى عن السيادة والحاجة إلى الضوابط والقيود .

د. سعيد حسن عبد العال

باحث بالمركز القومى للبحوث التربوية والتنمية

الملامح العامة للنظام العالمى القادم

* ويعد الفصل الأول الاطار النظرى الذى يحدد الملامح العامة للنظام العالمى القادم . إذ تناول المؤلف فى هذا الفصل النظام العالمى القادم الذى سوف تختفى فيه قوى عظمى وتندثر مراكز قوة ليشهد العالم مولد قوى وظهور مراكز اخرى جديدة .

فالكاتب يرى انه خلال « الألفية الجديدة Millenia » سوف يشكل مصير البشرية مجموعة جديدة من الرابحين والخاسرين. إذ ربما تحل اليابان وأوروبا فى القرن القادم محل الولايات المتحدة كقوتين متصارعتين من أجل تحقيق السيادة الاقتصادية فى عالم اعتنق ايديولوجية الاستهلاك .... عالم مقسم بين الأغنياء والفقراء. وهو على الرغم من انه عالم تتهدده الأجواء الملوثة إلا أنه عالم مغطى بشبكة كثيفة من وسائل النقل والاتصال ، خاصة فى المدن الرئيسية. ومن ثم تتحرك النقود والمعلومات والسلع والناس حول هذا العالم بسرعة مذهلة .

ويرى أتالى أن المستهلكين فى النظام العالمى القادم سوف يصبحون من البدو الأثرياء. وعندما تتوافر لديهم القدرة على الاسهام فى ثقافة السوق الحرة حسب اختيارهم الاقتصادى والثقافى فإنهم سوف يطوفون كوكب الأرض شأنهم شأن «البدو

الرحل» بحثا عن الوسائل التى تساعدهم على استغلال الوقت الاضافى، أو تسويقا للسلع والمعلومات والأحاسيس حيث سيكونون تواقين للرفقة البشرية والثقة فى البيت والمجتمع الصغير .

وهو يرى ايضا أن هؤلاء المتجولين الأثرياء سوف يواجهون في كل مكان نوعا آخر من البدو الفقراء الذين يتجولون بأعداد كبيرة هربا من المناطق المحرومة الخارجية الواقعة على محيط مركز القوة، أو تلك التى تقع بعيدا عن مركزه حيث يعيش فى هذه المناطق معظم سكان الأرض بصفة دائمة . وهؤلاء البدو الفقراء يتجولون هنا وهناك بحثا عن المأكل والمأوى، لاسيما وقد ألهبت رغباتهم الصورة العامة والمغرية فى المجتمع الاستهلاكى وهم - بذلك - يعتبرون أنفسهم موتى رغم أنهم أحياء، ومن ثم سوف تنشأ الصراعات بين الفقراء والأغنياء فى النظام العالمى القادم .

والنظام العالمى القادم سوف يستمد كيانه من قدرته على السيطرة على العنف . فعلى الرغم من الأنظمة السابقة التى كان يحكمها الدين أولا ثم القوة العسكرية ثانيا فإن النظام المرتقب سوف يسيطر على العنف إلى حد كبير - عن طريق القوة الاقتصادية .

ثم يذكر المؤلف أن القوة العسكرية سوف تستمر فى إحكام سيطرتها فى كثير من مناطق العالم الفقير فى البلدان النامية مثل

ايران والعراق. وهو يرى أن غزو صدام حسين للكويت يذكرنا بأن المشاكل المتعلقة بمنازعات الحدود لم تحسم بعد، وأن ثمة مشاكل تتعلق بالتطلعات والنعرات القومية والتلويح باستخدام القوة لتحقيق هذه النزعات والطموحات العرقية والقومية .

ومما يؤكد عليه هذا الفصل أن أية أمة لكى يكتب لها البقاء كدولة أو قوة عظمى لابد لها أن تمتلك قاعدة اقتصادية مزدهرة تقوم عليها قوتها العسكرية وقوتها السياسية فى النهاية .

ولذا فقد بات جليا أن القانون الرئيسى المنظم للمستقبل سوف يكون قانونا اقتصاديا فى المقام الأول .

وفى ضوء ذلك فإن قوة الاقتصاد الأمريكى تواجه تحديا خطرا بعد الحرب العالمية . إذ من الواضح الآن أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى (سابقا) يسيران فى تثاقل أو ترهل نحو التدهور الاقتصادى النسبى ان لم يكن المطلق !

وهكذا فإن الرابحين فى عالم ما بعد الحرب قد يكونون الخاسرين لفقدهم مكانتهم كدول عظمى أثناء توقف نشاطهم الاقتصادى. ومن ثم سوف تسعى كل قوة لكى تصبح مركز القوة الجديد ، أو مركز السيادة، أو محور هذا النظام العالمى القادم !

ولذا وبعد التغلب على التبعية الاستراتيجية لحكم القوى العسكرية مع نهاية الحرب الايديولوجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فإنه سوف يتصارع على السيادة فى النظام الجديد قوتان جديدتان :

قوة أوربية تمتد من لندن وصولا إلى موسكو ، وأخرى باسيفيكية تتمركز فى طوكيو ولكنها تمتد حتى نيويورك ! ونجاح أية قوة منوط بمدى قدرة كل قوة على انتاج السلع الجديدة التى تشبع الرغبة فى الاختيار والاستقلال فى سوق عالمى حقيقى . وموقع أو مركز هذه القوة سوف تحدده المنافسة الشديدة .

ان النظام الجديد سوف يشهد هجرة اللاجئين الاقتصاديين بأعداد كبيرة إلى مناطق الثروة والوفرة فى المراكز الاقتصادية الجديدة، ذلك لأن عدم المساواة سوف يحدث شرخا فى النظام العالمى الجديد وسوف لا يتساوى الأفراد فى انصبتهم من الثروات الشاسعة لنظام السوق الجديد، ولذا فإن الدول الواقعة خارج نطاق المركز الجديد سوف تدخل فى حرب مع الدول الغنية .

ان كبش الفداء للنظام العالمى القادم هو ذلك الشخص الذى لا يمتلك المال، والذى يهدد النظام من خلال تحديه توزيع الثروة، فهو لم يعد ذلك الشيء المملوك فى ظل نظام السلطة الدينية، أو الشخص

المنحرف كما كان عليه الحال فى ظل نظام القوة، ولكنه الشخص المتسول أو الشخص الفقير الذى لا يمتلك وسائل تساعده على ايجاد مقومات أو اسباب حياته، إنه البدوى الجديد الذى غدا ضحية فى ظل نظام المال او السوق الجديد .

إن العالم ـ الآن ـ يموج بالآلاف والآلاف ، من اللاجئين الاقتصاديين من آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية طلبا للغذاء والمأوى . إنهم ضحية نظام السوق الجديد، وحالة عدم الاستقرار فى العالم أو ما يسمى بحالة «عدم الاستواء» أو عدم المساواة بين الأمم والأفراد فيما يتعلق بتوزيع الثروة. ومن هنا تنشأ الأزمة التى تفصل أو تحدث بين نظامين اقتصاديين . ونعنى بالأزمة حالة الفوضى أو الاضطراب للمجتمع الذى يقوم على نظام السوق إذ تحدث حالة انفصال عن شكل اقتصادى سابق، أو حالة اقتراب من شكل اقتصادى جديد، ومن ثم تنشأ حالة من عدم الاستقرار لفترة طويلة تتسم بالتراجع أو النكوص .

الصراع من أجل السيادة والسيطرة

ينتقل جاك أتالى من رسم تصوره المستقبلى عن النظام العالمى القادم بما يحمله من ملامح الصراع بين مراكز القوى الجديدة إلى تحليل هذا الصراع - وذلك فى الفصل الثانى من الكتاب - وذلك من أجل السيادة أو السيطرة على القوة فى النظام العالمى القادم، فها هى ذى أنظمة الحكم الدكتاتورية تتداعى فى كل انحاء العالم أمام حركة مد الديمقراطية. ومع ذلك فإن القوة لازالت حكرا على الصفوة التى تسكن فى تلك الأماكن القليلة التى تتكدس فيها الثروة والسلطة، والتى تتخذ فيها القرارات بشأن الأسئلة الحرجة التى تواجه كوكبنا .

ويرى المؤلف أن الشكل الاقتصادى التاسع للسوق الذى يتخذ نيويورك مركزا له تدمره أزمة شديدة ناجمة عن المنافسة الشرسة من أجل تحقيق السيادة على مركز القوة الاقتصادية الجديدة. إذ أن أقاليم أخرى من العالم تطمح فى أن تصبح مركزا لشكل السوق الجديد، غير أنه من السابق لأوانه التنبؤ - على وجه القطع - بموقع المركز الاقتصادى الجديد . ومع ذلك فإننا نستطيع أن نرى - بالفعل - عالما جديدا يتصارع من أجل تحقيق السيطرة على هذا المركز فى الألفية الجديدة التى تبشر بعصر جديد للتطور .

يرى جاك أتالى فى كتابه الألفية الجديدة أن النظام العالمى - منذ نصف قرن مضى - قد اتخذ شكل هرم يدعمه عمودان . فالهرم هو النظام الذى اتخذه الشكل الاقتصادى الثامن للسوق ؛ ذلك الشكل المرتبط بالنظام النقدى. وفى قمة هذا الهرم توجد الولايات المتحدة مع كل الأمم الأخرى مرتبة بطريقة تنازلية هيراركية Hierarchical (هرمية) حول القمة الامريكية . لقد هيمن الدولار على العملة الدولية وانتشرت الثقافة الشعبية الأمريكية ، الأمر الذى ظل حقيقة أساسية أو نقطة بداية لفكر ونظريات الاقتصاد السياسى الحديث .

واليوم فإن هذا البناء أو التركيب نراه يتفكك أمام أعيننا ، فالهرم يغير قمته، وإحدى القوتين تنهار، ومركز أمريكا كدولة عظمى وحيدة فى وضع حرج جداً . وفى أوربا الشرقية يفسح نظام القوة الطريق أمام النظام النقدى . وهذه التطورات - بدورها - تغير بل تعمق طبيعة الصراع العسكرى الاقتصادى العالمى .

كما يقرر أتالى أنها سوف تكون مجازفة إذا ما اعتقدنا أن النهاية التامة للولايات المتحدة، أو التفكك الكامل للاتحاد السوفيتى قد حسم بشكل نهائى، أو أنه أمر لايمكن الرجوع فيه . وكل ما يمكن قوله ان المركز الجديد سوف يتدعم فى مكان ما فى

كلتا القوتين المسيطرتين - اوربا والدول الواقعة على حافة الباسيفيكي .

وملمح آخر من ملامح النظام العالمى القادم أن اوربا الشرقية سوف تعاود الانضمام إلى اقتصاد السوق، أما فى بقية الدول الاخرى فإن كل شيء يعتمد على الطريقة التى يمكن من خلالها السيطرة على التغيرات، إذ ربما تحاول الولايات المتحدة أن تستضيف المركز من جديد، ولكن هذا سوف يتطلب جهدا خرافيا « Herculean » للإرادة القومية حتى يمكنها تسخير طاقات الدولة تسخيرا فعالا .

أما إذا أصبح تدهور الاقتصاد الامريكى حقيقة أو أمرا واقعا فإن اوربا سوف تعانى إلا إذا استطاعت اوربا الغربية ان تربط اوربا الشرقية بتطورها مكونة بذلك «اوربا متحدة» على نحو يمكنها من تولى الدور القيادى لمركز الاقتصاد العالمى . ولسوف تستطيع النمو من منطلق انها المركز العالمى الأكثر ازدحاما بالسكان ، والأكثر ثراء، والأكثر ابداعا .

وإذا لم يحدث ذلك فإن المركز الجديد ربما يكون اليابان بما تتسم به من طابع الجزر حيث تمتلك الظروف والمقومات الرئيسية لجذب القوة بكل أشكالها .

وفى داخل القوتين المتصارعتين على الدور القيادى للمركز أو الشكل الاقتصادى التاسع للسوق يستطيع المرء أن يرى تقدم القوة الاقتصادية أو تفوقها على القوة العسكرية . وتتمثل هذه القوى المتصارعة فى اليابان كطرف ، وأوربا المتحدة كطرف آخر ، والولايات المتحدة فى جانب والاتحاد السوفيتى (سابقا) على الجانب الآخر، على الرغم من نمو القوة الاقتصادية فى اليابان وأوربا المتحدة، وتدهورها فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

ثم يورد المؤلف شروطا يجب على المرشح لشغل مركز القوة الجديد أن يحققها ، وهى شروط يصعب على اليابان على وجه الخصوص تحقيقها . فعلى سبيل المثال هل تستطيع اليابان أن توجد قيما اجتماعية يمكن للشعوب فى كل أنحاء العالم أن تعتنقها ؟ وهل اليابان مستعدة لأن تضطلع بمهمة توفير الحماية العسكرية لدول الباسيفيكى والدول البعيدة عن هذا المركز الجديد ؟ ولعل سلوك اليابان السلبى أثناء حرب الخليج يجيب على هذه التساؤلات.

فالدرس الذى قد وعيه الناس جيدا إزاء مسلك اليابان هذا هو أن التاريخ يعلمنا أن القمة هى أقرب نقطة إلى الهاوية !

كما أن أمريكا لا تنوى ان تتنازل طواعية عن مركز القوة، فهى

تمتلك موارد مالية وتكنولوجية وديمقراطية هائلة. ومع ذلك فهى فى حاجة إلى وسائل كافية لحسم صراعها ضد اليابان. وبالطبع تأتى القوة الاقتصادية فى مقدمة هذه الوسائل .

ثم يزداد الصراع حدة إذا ما علمنا أن ثمة عوامل تساعد اليابان على تحقيق السيطرة أو السيادة الاقتصادية المتمثلة فى انتاج اليابان من السلع الصناعية والتكنولوجية الدقيقة التى سوف تعبر الباسفيكى إلى الولايات المتحدة فضلا عن قيام الشركات اليابانية بالاستثمار فى امريكا ، خاصة الاستثمارات الاستراتيجية، ومن ثم سوف تفرض اليابان منتجاتها على المستهلكين الأمريكيين .

وسوف يحدث هذا إذا لم تقم أوربا وأمريكا بهجوم أو إجراء مضاد مشترك. ومن غير المحتمل أن تقبل الولايات المتحدة فى نهاية الأمر الاذلال الذى تتضمنه هذه التبعية الاقتصادية .

ومع ذلك تستطيع الولايات المتحدة أن تقاوم تقدم اليابان من خلال التجارة مع المركز الأوربى عبر الأطلنطى . إذ ربما تحاول أن تصبح جزءا من هذا المركز الأوربى. وسوف ترحب أوربا بهذه المحاولة ذلك لأن من مصلحة أوربا أن يظل الاقتصاد الامريكى قويا ، مما يساعد على تدعيم موقف اوربا فى تنافسها مع اليابان .

ويجزم المؤلف بأن اليابان سوف تفشل أو تخفق فى القيام بالدور السياسى للمركز الاقتصادى لأنها ليست مؤهلة لذلك، ولذا فإنها سوف تختار بدلا من ذلك أن تحد من تأثيرها الممتد إلى الدول الغربية الواقعة فى النطاق الباسيفيكى. ولكن هذا القرار يحمل فى طياته حلما قديما فى وقت مبكر من هذا القرن بإنشاء «مركز اكبر للرخاء المشترك» ومع ذلك فإن اليابان - من غير المحتمل - أن تستطيع الحد من رغبتها فى القوة ، إذ انها سوف تسعى فى النهاية لخلق الظروف المواتية لتحقيق هذه الرغبة فى أنحاء المركز . ويرى المؤلف أن عزوفها الحالى للإعلان عن هذا الطموح ربما يكون عزوفا مخادعا أو ماكرا !

والأمر ليس أسعد حالا بالنسبة للمركز الأوربى ؛ إذ أن تطور هذا المركز لأن يصبح مركزا للقوة لهو أمر يصعب التنبوء به ، فإمكانية التنبوء بتحرك الجزء الغربى من اوربا بمفرده نحو التكامل الاقتصادى لم يسر فى طريقه الصحيح بسبب أحداث ١٩٨٩ (والتى لم يكن التنبوء بها ممكنا فى حينه). ومن المحتمل وجود أوربا موحدة غير أنه توجد انتكاسات وصراعات وجماعات منشقة وحدودية وقومية. فالتكامل السياسى فى أوربا الغربية يظل واهيا، والتحول الديمقراطى فى أوربا الشرقية محفوفا بالمخاطر، كما أنه من الصعب تحقيق وحدة اقتصادية بين الغرب والشرق فى هذه

القـارة. إن المركـز الأوربى للقـوة سـوف يقع فى المكان الذى يطور أنظمـة الاتصـال والنقل الأكـثـر تقـدمـا عـبـر أوربا. إذ بحلول عـام ٢٠١٠ سـوف ترتبط باريس وموسكو بقطار سـريع جدا، كـمـا أن المكان الذى يصبح مـركـزا للبـحث والتـجـديد أو الإبداع، ويمتلك التماسك الاجتماعى Social Cahesion سوف يستضيف هذا المركز. لابد - إذن - من تحقيق وحدة اقتصادية بين شرق أوربا وغربها، ولابد للإصلاح السياسى .. إذا ما صاحبه إصلاحات اقتصادية - العمل على خلق مراكز قوة تنافسية لا مركزية فى المجتمع. كذلك لابـد للاصـلاح السـيـاسى أن يكشـف عن الأنظمـة الشـمـوليـة Totalitarianism واستبدلالها بثقافة تسامح سياسية فى جو خال من التعصب، ولابد من وجود نظام موحد للاتصالات والتمويل المشترك للبنيـة الأسـاسـيـة، بالإضـافـة إلى ضـرورة وجـود مـشـاريع تجـارية مشتركة وقانون إدارى مشترك وقواعد ضريبية مشتركة لتحقيق وحدة القارة. وما البنك الأوربى للتعمير والتنمية إلا مثالا حيا على هذه الجهود المشتركة التى تستهدف تحقيق أوربا موحدة.

إن صراعا شرسا سوف يحدث فى القرن الحادى والعشرين من أجل تحقيق السيادة بين المدن والأمم، وحتى القارات. وإذا ما كان المركـز الجـديد أو شكل الـسـوق التـاسع مـشـابـهـا للسـوق القـديم (الثامن) فإن المركز سوف يكون محاطا بحزام من الدول البعيدة عن المركز والدول الواقـعـة على المحيط والنتـيـجـة المباشرة هى أنه من المحتمل وجود تناقض مستمر بين المركزين المتصارعين:

الباسيفيكى والأوربى . وكل مركز منهما منظم حول عملاقين أحدهما سياسى والآخر اقتصادي، واللذين يتنافسان فى نفس الوقت من أجل السيطرة على عمق كلٌ مركز وعلى المركز الآخر .

ولسوف تزداد المنافسة بين القوة السياسية والقوة الاقتصادية، الأمر الذى يؤدى إلى صراعات خطيرة. وسوف تحاول الولايات المتحدة أن توقف تدهورها الاقتصادى بتقليص إنفاقها العسكرى لكى تحد من عجز الميزانية، كما أنها سوف تستمر تدريجيا فى خفض قواتها الحربية الموجودة فوق أرض حلفائها، مما يساعد على توفير الموارد من أجل حدوث رد فعل اقتصادى هائل .

وربما لا تحقق أية قوة من القوتين نصرا على الآخر ، وربما يكون مركز النظام العالمى القادم موزعا بين الكثير من الأقاليم طبقا للمهام أو الوظائف التى يقدمها كل مركز أو اقليم. كما أن الصراع من أجل تحقيق السيادة على النظام العالمى القادم يخفت فى ضوء الصراعات المحتملة بين القوتين الجديدتين من جهة، وبين الدول الواقعة على محيط المركز من جهة أخرى، والتى سوف لا يتاح للسكان فيها فرصة المشاركة فى ثراء دول الشمال، ولذا فإنه بدون مؤسسات إقليمية تعمل بمثابة آلية تستهدف وضع دعائم السلام فى مناطق الاضطراب فى العالم فنحن سوف نواجه المزيد من الصراعات فى نظام عالمى قادم تصطدم فيه مناطق الوفرة والاستقرار ببحر خضم من مناطق الفقر والفوضى .

الخاسرون فى الألفية الجديدة

فى الفصل الثالث من كتاب الألفية الجديدة يشير المؤلف إلى ضحايا النظام العالمى القادم وهم من أطلق عليهم «الخاسرون فى الألفية القادمة» Millenia Losers . ويقصد بهؤلاء الخاسرين سكان الدول الواقعة على محيط المركز أو النظام العالمى الجديد وسكان مركز القوة ذاته

والكاتب يسوق أسبابا ديموجرافية لذلك فهو يستشرف آفاق المستقبل محاولا إلقاء الضوء على العوامل الكامنة وراء هذه الظاهرة . إذ أنه بحلول عام ٢٠٥٠ سوف يتضاعف عدد السكان فى سن العمل بمقدار ثلاث مرات فى العالم . وسوف يكون أكثر من نصف سكان العالم من سكان الحضر فى حين أنهم يبلغون الثلث الآن . وسوف يبلغ سكان مدينة المكسيك وحدها ٣٠ مليون نسمة قبل نهاية هذا القرن . كما سوف يموت ١٠٠ مليون طفل دون سن الخامسة من الجوع أو المرض فى كل أنحاء العالم .

وسوف يحاول الملايين الهروب من هذا المصير المؤلم تاركين وراءهم بؤس وتعاسة دول محيط مركز القوة الجديد طلبا للحياة الكريمة فى مكان آخر . إنهم سوف يصبحون بدوا رحلاً من نوع آخر، أو صورة جديدة لبدو الصحراء الذين يتنقلون من مكان إلى

مكان . ويرى المؤلف أن الخاسر الحقيقى للألفية القادمة هو كوكب الأرض ذاته لو أن حاجة السوق أطلق لها العنان بدون قيود .

فالموارد الطبيعية والتى استغرقت بلايين السنين للكشف عنها سوف تندر إلى حد كبير، ذلك لأن الأرض يتم عليها سباق المهاجرين أو البدو الجدد محملين بأشياء مصنوعة من مواد خام لا يمكن استبدالها. وإذا لم يحارب الجيل الحالى الإصرار على امتلاك كل شىء فإن جميع اجيال المستقبل سوف تكون خاسرة بكل تأكيد.

ثم يؤكد أتالى على حقيقة واقعة بالفعل وهى أن حركة الهجرة التى يقوم بها البدو الجدد قد قلبت الأوضاع رأسا على عقب فى عالمنا هذا ، لذا فإن الحاجة إلى وجود كبش فداء (Scapegoat) سوف تعاود الظهور ، فبعد مرور نصف قرن على نهاية الحرب العالمية الثانية فإن شبح الفاشية Fascism يسيطر من جديد على كوكب نسى هذه الحروب، بل يطارده. وسوف تظهر الفاشية الجديدة فى عدة وجوه، فهى سوف تكشف عن نفسها فى الصراع بين الاسلام والمسيحية. كذلك تتضح فيما هو حاصل من عداوة للمهاجرين السود الذين يبحثون عن المسكن والدفء فى الشمال غير المضياف. إن النظام العالمى القادم سوف يشهد هجرة سكان الأطراف الواقعة على محيط مراكز القوة والرخاء إلى هذه المناطق

المستقرة والغنية . فى هذا النظام سوف يكون هناك رابحون وخاسرون، غير أنه يتوقع أن يفوق الخاسرون الرابحين عددا. إنهم سوف يتوقون إلى فرصة يعيشون فيها عيشة كريمة، ولكن من المحتمل ألا تتاح لهم هذه الفرصة، إذ أنهم سوف يواجهون التحيز والقلق فى حالة من الثورة والهياج. كما أنهم سوف يجدون أنفسهم محبوسين يخنقهم التلوث والإهمال بسبب عدم الإكتراث بهم . ولسوف تنحسر مخاوف القرن العشرين بالمقارنة بما سيكون عليه الحال فى النظام العالمى القادم .

البدوى الجديد

يجئ الفصل الرابع ليقدم لنا شخص الفرد المهاجر أو المتنقل فى ظل النظام العالمى القادم إنه «البدوى الجديد» أو «الإنسان البدوى» (nomadic man) .

بمفهوم العصر القادم أو الألفية الجديدة، والذى سوف تجعل الأشياء التكنولوجية المتطورة من الفرد إنسانا مختلفا، إذ لن يكون البدو الجدد نفس البدو العراة فى المجتمعات القديمة الذين كانوا يرتحلون من مكان إلى مكان بحثا عن الماء من أجل الحياة ، كما لن يكونوا البدو الخطرين من طائفة الغجر الذين كانوا يقبض عليهم فى ظل نظام القوة السابق .

بدلا من هذه النوعية القديمة من البدو فإن السكان ذوى الامتياز فى كل من مركزى القوة الباسيفيكى والأوربى، والسكان الأغنياء فى البلدان الواقعة على محيط هذين المركزين سوف يصبحون بدوا متجولين يتمتعون بالحرية والجشع والطموح .

إن هذه الصفوة الجديدة من المهاجرين تتكون الآن، وهى تقطع علاقاتها بأى مكان معين سواء كان ذلك أمة أو مكاناً مجاورا . غير أن هؤلاء البدو الجدد سوف يستخدمون أشياء تكنولوجية متطورة تسرع بحدوث علاقات جديدة مع الأسرَة والمدينة ومع الحياة

والموت. إن هذه الأشياء سوف تغير شكل الحياة بطريقة جذرية فى الألفية الجديدة بالنسبة للإنسان البدوى، ذلك لأنها سوف تمثل حياة وعقل وقيم أولئك الذين يصنعون هذه الأشياء ويستخدمونها. إنها سوف تكون امتدادا لحواس الإنسان ولوظائف جسمه بوجه عام ، كذلك فإن هذه الأشياء الخاصة بالمهاجرين فى النظام العالمى القادم تحرر الافراد - فى ظاهرها - من ارتباطهم بالمكان ، ولكنها تجعل من الصعب الهروب من عالم العمل على نحو لم يسبق له مثيل. فيا لها من سخرية تلك التى يحملها تطور هذه المنتجات فى ثناياه ! لذا فالإنسان الذى يهاجر من مكان إلى آخر كالبدو مطالب بألا يعول كثيرا على المجتمع للحفاظ على شخصيته، فهو يجب أن يعتبر نفسه مثّالا (صانع تماثيل) يصنع نفسه بنفسه، ومن ثم يجب عليه أن يعنى بصحته وتعليمه ذلك لأن الارتقاء بالمهنة يتوقف على الحصول على مستوى معين من التعليم والمحافظة عليه . لذلك فإنه مطالب ايضا بأن يزود نفسه بالكتب التى تعينه على الثقافة، وأن ينتظم فى المقررات الدراسية - خاصة الجامعية - اللازمة لبناء شخصيته .

والمؤلف لم يختر كلمة «البدو» لتشير إلى المهاجرين الجدد من قبيل الصدفة، إذ أن هذا المصطلح - فى رأيه - لايبدو فقط أنه يميز الأشياء الصناعية القادمة ولكنه ايضا هو المصطلح الاساسى أو

الرئيسى الذى يصف بحق ثقافة الاستهلاك وأنماط الحياة فى الألفية الجديدة. فالتليفزيون على سبيل المثال سوف يكون من الأشياء التى سوف يستخدمها المهاجر المتنقل أو البدوى، إذ أنه يسمح لنا بأن نتنقل هنا وهناك فى كل أنحاء العالم فى المكان والزمان، وفى الحقيقة والخيال، وهو - فضلا عن ذلك - يسمح لنا بالسفر بدون التحرك من الكراسى المريحة التى نجلس عليها فى البيت . وهكذا فإننا نستطيع أن نشارك فى حياة هؤلاء البدو الجدد من خلال التنقل من قناة إلى قناة ، ومن ثم يتسع مفهوم البدوى الجديد خلال الألفية القادمة .

وبالمثل فكما يسافر مشاهدو التليفزيون وهم جلوس فى البيت فإن السائحين سوف يتذكرون دائما منازلهم من خلال أجهزة معينة أثناء سفرهم .

ويرى المؤلف أن المخدرات والمواد الكحولية هى المواد التى سوف يستخدمها الخاسرون فى الألفية القادمة، أو التى سوف يستخدمها من ليس لهم دور فى حركة الحياة خلال هذه الفترة القادمة، فهى تزودهم بوسيلة للهجرة الداخلية، والتى تعد نوعا من الهروب المعادى من عالم لا يقدم لهم شيئا .

كذلك سوف تكون ساعة اليد الشىء الأساسى للبدو الجدد ، أو

الشيء الذى سوف يرمز إلى النفوذ والمنفعة أو الشيء المساعد الجوهرى إذ أنها - بالفعل - تؤدى وظائف كثيرة إلى جانب الإخبار عن الوقت، فهى تستطيع أن تحتوى أرقام التليفونات والعناوين، كما يمكن أن تحتوى على حاسبة معينة كى يمكنها قياس الرطوبة وحرارة الغلاف الجوى وأن تشتمل على تقويم الكترونى وتخزين جزئيات لا تحصى من المعلومات الشخصية وأوراق إثبات الشخصية والأولويات الثقافية. كذلك فإنها تعد همزة الوصل التى تربط صاحبها بشبكات خارجية متعددة، بالإضافة إلى توصيله بالصيدلى. وهى أيضا جزئية من ملابس البدو الرحل، وهى طرف صناعى، وحلية للانسان المتنقل .

وسوف يكون التليفون من الأشياء التى يستخدمها البدو فى الألفية القادمة إذ سوف يختزل إلى حجم بطاقة ذاكرة شخصية يمكن إدخالها فى جهاز دقيق يمكن حمله، ولذا سوف يكون كافيا التعرف على شخص البدو فى الألفية القادمة من خلال عدد معين أو من خلال معرفة اسمه أو مناداته باسمه .

وسوف يكون جهاز إرسال المطبوعات أو الصور لاسلكيا - والذى يطلق عليه الفاكسيملى (Facsimile) فى حجم بطاقة ذاكرة يمكن إدخالها فى أى جهاز مناسب لاستقبال البريد الجوى باسمه

دون إعطاء عنوانه مهما يكن موقعه . وسوف تكون بطاقة الذاكرة الطرف الصناعى الرئيسى للشخص، كما ستكون بمثابة بطاقة تحقيق شخصيته أو دليل أو تليفون أو آلة فاكس . وبوجه عام سوف تكون جواز سفر للبدو أو المهاجرين الجدد ؛ إنها ستكون نوعا من الذات الصناعية .

وسوف يقيم المهاجرون الجدد من الطبقة الوسطى فى أماكن عامة مثل الفنادق المتصلة بالمطارات فى كل ربوع العالم. أما المهاجرون الأغنياء فسوف يمتلكون الوسائل التى تجعلهم أصحاب ممتلكات أو عقارات فى المدن الكبيرة التي ستكون مناطق جذب للمهاجرين الآخرين من كل أنحاء العالم .

إن الانسان فى الآلفية الجديدة سوف يصبح سلعة يستخدمها المهاجرون الجدد حيث سوف يزود بأجهزة صناعية، ومن ثم سوف يصبح نفسه جهازا صناعيا يباع ويشترى مثل أى سلعة أخرى .

فياللعجب ! ويا له من خيال جامح ! إنها الهندسة الوراثية التى تساعد على اختراع مثل هذه الأشياء والأجهزة . إنها أيضا الطفرة الثقافية التى تجعل الإنسان يتصور نفسه وقد أصبح سلعة من السلع التى يستخدمها البدوى فى الألفية الجديدة .

وصفوة القول يرى أتالى أنه سيكون هناك نوع من جنون البدو

المهاجرين من مكان إلى مكان، إذ سوف يخلق الإنسان نفسه تماما مثلما يصنع السلع أو البضائع. كذلك سوف يذوب الفارق بين الثقافة والبربرية، وبين الحياة والموت. فأين سيجد الموت اذن ؟ هل فى آخر ارتعاشة تتملكه ؟ أم فى نسيان الآخرين ؟ وهل سيستطيع الإنسان التحدث عن الحياة عندما ينظر له على أنه منتج أو شىء فقط ؟.

ثم يختتم المؤلف هذا الفصل قائلا إن كل هذا سوف يكون علامة على وجود نقطة تحول خطيرة أو حيوية، إذ أن ثقافة الاختيار التى ارتبطت بمنطق السوق سوف تقدم الوسيلة لكى يكتسب الانسان درجة من حكم الانسان لنفسه autonomy إن امتلاك البدو أو المهاجرين للأشياء فى الألفية الجديدة سوف ينظر إليه على أنه رمز للحرية والقوة . فمثلما اكتسب الإنسان الوثنى القوة من امتلاك الأشياء التى اعتبرها تجسيدا لروح الحياة كذلك فإن إنسان الألفية الجديدة سوف يكون لديه القدرة على استهلاك كسرات الخبز الخاصة به بالمعنى الذى تتضمنه كلمة سوق. إنه سيكون قد أدرج نفسه فيما يرقى إلى عشق أو عبادة أكل اللحوم البشرية الصناعية.

التخلى عن السيادة والحاجة إلى الضوابط

فى الفصل الخامس والاخير والذى يحمل عنوانه : التخلى عن السيادة والحاجة إلى القيود أو الضوابط يؤكد المؤلف على أن عالم اليوم عالم ينكمش ويتوسع، ويتقارب ويتباعد فى آن واحد .. عالم أصبحت فيه الحدود القومية غير ذات موضوع. ومع ذلك فإن العالمية globalism لم تحقق نصرا حتى الآن، ذلك لأن القبلية أو النظام القبلى tribalism ، والتحررية الوحدوية أصبحت وفيرة وزاخرة .

كما أن الصيحات من أجل تقرير المصير self-detrmination تتزايد فى عالم تكون فيه فكرة السيادة ذاتها الا معنى لها فى ظل المشاكل العالمية المعقدة أو المستعصية ، فلم يسبق للعالم أن أصبح عبداً أو أسيرا للمادة على النحو الذى سيكون . فالرأسمالية واثقة كل الثقة من سيطرتها ، فهى تبعث الحياة فى ثقافة الاختيار، والتى يعبر عنها سياسيا بالديمقراطية ، إذ أن الرأسمالية قد أوجدت اجماعا يقضى على كل الحدود سواء كانت قومية أو عنصرية أو طبيعية أو دينية، وهى تشجع المنافسة لا من أجل المنافسة، ولكن من أجل النمو الاقتصادى، فهى - اذن - مصدر إلهام للابداع الصناعى. وهى تكافىء الرابحين وتعاقب الخاسرين. ولكن نجاح

الرأسمالية ذاته يهيىء الظروف للفشل. فالنظام العالمى القادم سوف يكون مشحونا بالخطر، ذلك لأن الشكل التاسع للسوق أو مركز القوى الجديد أيا كان موقعه سوف يستبدل الأنشطة الميتة بأخرى مليئة بالحياة . وهو سوف يعامل الطبيعية على أنها سلعة، وسوف يحول الإنسان إلى سلعة تنتج بالجملة، وسوف يوجد هذا النظام القادم فاصلا بين المهاجرين الأغنياء والمهاجرين الفقراء، وربما ينتهى - إذن - حلم الاختيار اللانهائى إلى كابوس يتمثل فى عدم الاختيار فى ظل نظام شمولى، مما يحيل عالم الوفرة إلى عالم فقر وندرة !

إن الألفية الجديدة سوف تكون عصرا مزدهرا أو مخيفا، وذلك يعتمد على قدرتنا فى كبح جماح أحلامنا، إذ أنه توجد قيود أخلاقية أو بيولوجية نخاطر بتجاوزها .

ولكى نبنى حضارة تدوم وتزدهر فإن البشرية مطالبة بأن تتصالح مع الطبيعة أو مع ذاتها. عليها أن تعتنق ثقافة حضارية وتعددية تتسم بالتسامح وتمتزج بشعور عميق بكل ما هو مقدس أو دينى .

ويرى المؤلف أن لقاءنا كجنس منوط بقدرتنا على حسم الصراع القائم من أجل تعلم كيفية التعامل مع المشاكل التى تعد - بحق -

مشاكل عالمية فى طبيعتها .

فالعالمية هى سمة المشاكل التى تواجهنا الآن . ولذا فنحن فى حاجة إلى أن نكون رؤية سياسية جديدة وأن ننشىء موسسات جديدة تستطيع أن تكون بديلا عن قيود الأمة - الدولة وعن منطق السوق الحاكم .

إن رؤية القيادة العالمية سوف تتطلب قادة أو ساسة يعرفون الحاجة إلى القيود ولديهم الشجاعة للتخلى عن الأفكار التقليدية للسيادة الوطنية .

إن العالم سوف يتغير بدرجة أكبر فى خلال العشر سنوات القادمة أكثر منها فى أى فترة أخرى فى التاريخ .

إن فجر الألفية القادمة فى مجالاته القوية وبأخطاره المتنوعة يمكن ملاحظته بشكل عام . كما أن سيطرة المال سوف تكون أمرا عالميا وشاملا، إذ سوف تتعبد جميع الأنظمة الاقتصادية فى محراب السوق، وسوف يقدم الناس فى كل مكان القرابين لآلهة الربح .

إن مركزين اقتصاديين متنافسين سوف يتصارعان على السيادة أحدهما حول الباسيفيكى والآخر حول اوربا .. انهما سوف

يتنافسان من أجل العقول والوسائل والأسواق ، وفى كل منهما سوف تستسلم القوة العسكرية للقوة الاقتصادية . ولسوف تبسط الديمقراطية سلطانها بوجه عام .

فى النظام العالمى القادم سوف تحتاج البشرية إلى قادة مستعدين لقبول التخلى عن السيادة على حساب شعبيتهم، فالناس مطالبون بأن يحموا أنفسهم من أنفسهم، وأن يكفوا عن التفكير فى أنفسهم وفى اعتبار أنفسهم أصحاب العالم والجنس البشرى. إنهم مطالبون بأن يدركوا أن الأنسان ما هو إلا مستأجر فى هذه الأرض. فأفكار المقدسات أو المحرمات والإدارة أو الاشراف والسلطة الدينية يجب أن تصبح شعارات تكون أساسا لبرنامج عالمى للبقاء، إذ أن الثقافة عندما تفقد معناها الدينى فإنها تفقد كل معنى. ففى غياب الدين الدى يفرض قيودا على الإنجاز فإنه ينشأ خداع يتمثل فى عدم وجود قيود على التغيرات التى يمكن لحياة الانسان أن تعانى منها، كما يتمثل فى أن المجتمع هو فى الأصل - شيء مرن إلى ما لا نهاية، مما يعنى إنكار الانسان لذاته أو يعنى إنكار استقلال الانسان القادم .إن رفض السلطة الدينية يعنى رفض القيود أو الضوابط التى تكبح جماح أحلامنا، كما يعنى أيضا رفض فكرة الشيء !

لابد إذن من إيجاد توازن جديد بين النظام والفوضى وبين الوفرة والفقر، وبين الكرامة والإذلال. كذلك فإن اتفاقا أو تصالحا يجب أن يعقد بين الانسان والطبيعة حتى تستمر الحياة فوق الأرض، وحتى يستسلم الشىء الهامشى لما هو خالد ودائم، وحتى يقاوم التنوع التجانس. كذلك يجب مساندة الكرامة حتى تعلو على القوة، كما يجب أن يحل الابداع محل العنف . وبهذه الروح البشرية فإن الحكمة التى يتحلى بها الانسان - وليس مجرد ذكاء الآلات - يجب أن تتطور وتنمو. كما أن كل إنسان يجب أن تتوفر لديه الوسيلة اللازمة لصنع مصير له .

كما يجب ألا يتحول هذا الانسان فى الألفية الجديدة إلى متفرج يشاهد استهلاكة الخاص وحسب.

فالأفراد - فى رأى أتالى - يجب أن تتوفر لهم القدرة على الإسهام فى التراث الحضارى بتوجيه هذا التراث من خلال ممارسة حرياتهم. وهم - إذ يفعلون ذلك - يحدوهم الأمل فى أن يصنعوا من حياتهم الخاصة عملا فنيا بدلا من إعادة انتاجه بشكل متكرر أو نمطى. والسؤال الذى يثار هنا : هل يمكن - يا ترى - لمثل هذا المستقبل أن يتحقق من خلال التسامح - أم من خلال النبذ والطرد ؟ أم من خلال التعصب أو الرحمة ؟ أن حالة من الشك تنتظرنا فى الألفية القادمة .

ثم يلقى المؤلف فى نهاية هذا الفصل المزيد من الضوء على المعنى الذى تتضمنه كلمة «بدوى» (nomad) ، فهى كلمة إغريقية قديمة تعنى «الانقسام إلى أجزاء أو إنصبة» shares وبمرور الزمن ارتبطت بها معان أخرى. ويعنى أحدها «القانون» كما يعنى آخر «النظام» والدلالة التى نستخلصها هنا هى أن البدوى يستطيع البقاء فقط إذا ما عرف كيفية الاشتراك فى المراعى مع زملائه . كذلك يوحى احد معانى كلمة «بدو» بأن الشىء الذى استخدمه البدو، والذى يجب أن نحميه قبل كل الأشياء الأخرى هو الأرض نفسها ، والتى تعد أغلى مكان فى الوجود حيث استقرت فيها معجزة الحياة .

فالأرض تشبه مكتبة يجب أن تترك سليمة بعد أن نثرى انفسنا بقراءة ما فيها من كتب، وبعد أن نكون قد اكتسبنا منها ثروة ثقافية بواسطة مؤلفين جدد. ولذا فالحياة هى أغلى كتاب يجب أن نتداوله. ومن ثم يجب أن نحذر ألا تمزق أيا من صفحاته حتى نمرره بدون تعليقات جديدة للآخرين الذين سوف يعرفون طريقة فك رموز لغة أجدادهم أملا فى تمجيد العالم الذى سيتركونه أو سيورثونه إلى أبنائهم وبناتهم .

وخلاصة القول - اذن : إن إنسان الألفية الجديدة يجب -

امتدادا لإنسان اليوم - أن يدرك عن علم أن العالم الذى ننشد العيش فيه الآن .. والذى سوف يعيش فيه الناس فى النظام العالمى القادم إنما هو عالم يجب أن تتخلى فيه القوى العظمى عن السيادة والسيطرة وأن تكرس جهودها لحل المشاكل العالمية المستعصية فى جو من الحرية والتسامح والبعد عن التعصب .. فليكن هذا العالم عالم عدل وعالم سلام وثراء يعمل من خلال ضوابط وقيود يرتضيها المجتمع الواسع الكبير فى كل أنحاء العالم من خلال منظمات ومؤسسات عالمية تستهدف حسم كل المشاكل التى سوف يعانى منها هذا العالم والتى تبدو ملامحها فى عالم اليوم .

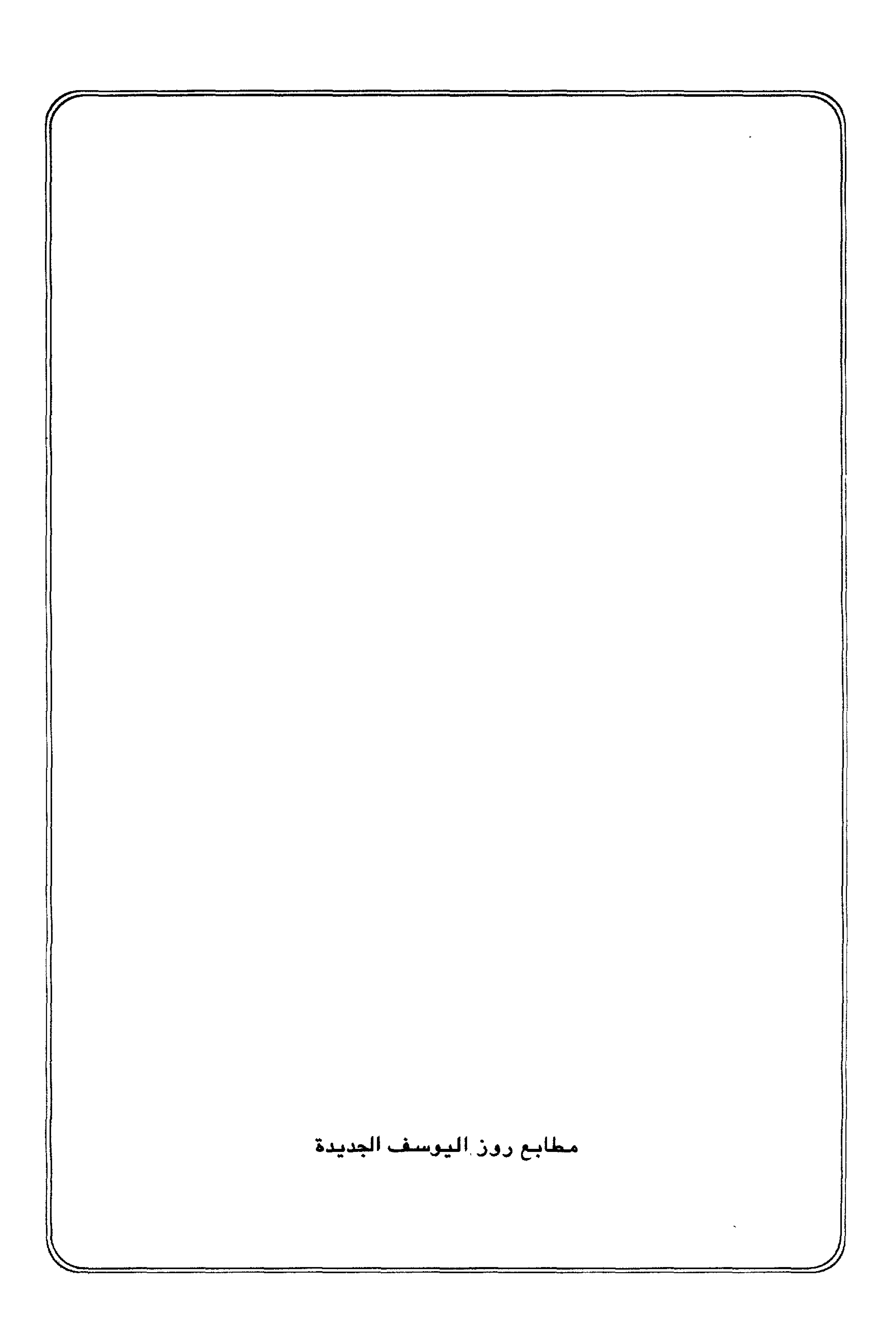
ولكى يتم ذلك فلابد من وجود قانون ونظام قوة دينية ملؤها التسامح ونبذ الصراعات. لابد ايضا من وجود جو تسوده الحرية المسئولة - حرية الاختيار التى تعد أساسا للإبداع والاختراع والتجديد .. لابد كذلك من أن يستطيع إنسان الألفية القادمة أن يستطيع حكم نفسه بنفسه وأن يقرر مصيره بنفسه أيضا .

ان عالم الفترة القادمة هو عالم تحكمه المؤسسات والمنظمات الدولية .. ولكى يكتب للجنس البشرى البقاء فلابد أن يقوم النظام العالمى القادم على قاعدة اقتصادية صلبة من خلال حياة ديمقراطية .. لابد أن تتداعى الأنظمة الفاشية والشمولية التى أودت بشعوبها

إلى هاوية الفقر والتفكك والدمار، إذ سرعان ما تضعف قوتها العسكرية وتتردى قوتها السياسية وتئن دولها تحت وطأة الديون والتضخم وتعانى من المشكلات فى كافة مجالات الحياة ..

لابد - إذن - من التخلى عن الصراع من أجل السيادة فى ضوء ثقافة السوق .. ثقافة الاختيار، والتى تنطوى على الحرية والاستقلالية الذاتية على الرغم من أنها تسمح بالتعددية الحضارية والعمل من أجل سعادة الانسان وازدهار البشرية بعيدا عن أية إختلافات عرقية أو دينية أو قومية .

المحتويات



مطابع روز اليوسف الجديدة

مطابع روزاليوسف الجديدة

الإعداد الفنى محمد مصطفى سعد - طه حسين

